



■ أ.د. أشرف مؤنس

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر - جامعة عين شمس

الفرق بين مفهومي التاريخ الحديث والتاريخ المعاصر

مقدمة :

يوضح هذا المفهوم ما المقصود بالتاريخ الحديث ؟ وما المقصود بالتاريخ المعاصر؟ والآراء التي قيلت حولهما، مع ذكر المعايير والحجج التي يُستند إليها في تعريف كل مفهوم، كما يشمل أيضًا أهم السمات لكل مفهوم، وأوجه الشبه والاختلاف لكل من المفهومين، كما يبين الحقائق التي نستند إليها في ترجيح أي الآراء أكثر راحة ويأخذ بها معظم المؤرخين.

تعريف مصطلح التاريخ الحديث :

Modern History :

التاريخ الحديث يشمل الفترة الزمنية التاريخية بعد حقبة ما بعد الكلاسيكية، ويمكن تقسيم التاريخ الحديث إلى الحقبة الحديثة المبكرة بالقرن السادس عشر الميلادي، والحقبة الحديثة المتأخرة بعد الثورة الفرنسية والثورة الصناعية. وقد أسهمت أحداث كثيرة وكبيرة وتطورات هائلة في تغيير أوروبا خلال الفترة الزمنية المذكورة.

الآراء المتعددة حول بداية التاريخ الحديث :

اختلف المؤرخون حول بداية التاريخ الأوروبي الحديث، البعض يرى أن سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م ومعها الإمبراطورية البيزنطية بداية لتاريخ أوروبا الحديث؛ حيث صحب هذا الحدث هجرة الكثير من العلماء اليونانيين إلى روما وغرب أوروبا يحملون معهم تراثهم الثقافي الذي أثر في الفكر الأوروبي. (١)

والبعض الآخر يذكر أن سقوط الأندلس عام ١٤٩٢م وطرد المسلمين منها؛ حيث سقطت غرناطة آخر معاقل المسلمين على يد المسيحيين واستردادهم شبه جزيرة أيبيريا بعد أن حكمها المسلمون ما يقرب من ٧٧٠ عامًا.

والبعض يذكر أن اكتشاف الأمريكتين والعالم الجديد عام ١٤٩٢م بداية لتاريخ أوروبا الحديث؛ حيث أدى ذلك إلى نمو النشاط التجاري في أوروبا وظهور العديد من طرق التجارة العالمية.

والبعض يرى أن حركة الإصلاح الديني في أوروبا وظهور المذهب البروتستانتي في عام ١٥١٧م هو بداية التاريخ الأوروبي الحديث؛ حيث ترتب على هذه الثورة الدينية أن عددًا من الأوروبيين وسكان العالم الجديد اعتنقوا المبادئ التي نادى بها مارتن لوثر وغيره من المصلحين أمثال زونجلي وكالفن. (٢)

وهذه الآراء والاختلافات بين المؤرخين نصادفها في أي مكان نتناول تاريخه، ويختلف المؤرخون باختلاف المعايير والأسانيد والحجج التي يستخدمونها لهذا التحديد. (٣)

وغالبًا ما يُطلق العلماء على العصر الحديث صفة (الحداثة)، و تميز العصر الحديث بظهور فلسفة التنوير التي ركزت على الفرد ووضعت له قيمة عالية، كما شهدت هذه الفترة التوسع الاستعماري الأوروبي، وخلال هذا العصر تحسنت وسائل النقل والمواصلات، وقامت حركة الإصلاح الديني في أوروبا، وأصبحت السياسة علمانية أكثر من ذي قبل، وانتشرت الرأسمالية، وازدادت قوة الدول القومية،



الفرق بين مفهومي : التاريخ الحديث والتاريخ المعاصر أ. د. أشرف مؤنس

نسيج المجتمع العربي وليس وافداً عليه من الخارج، فلا بد أن ننظر في أحوال الأمم وظروف تطورها.

رابعاً: إن تحديد بداية تاريخ أوروبا الحديث بمطلع القرن السادس عشر الميلادي لا يمكن أن يعنى أن تاريخ العالم - ومنه تاريخ العرب الحديث - قد بدأ في هذه الفترة، نظراً لاختلاف طبيعة التغييرات والتحويلات العامة (سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية) من منطقة لأخرى تبعاً للتطور الذاتي الخاص بكل منطقة على حدة؛ حيث إن أوروبا قد مرت خلال هذه الفترة وما تلاها بتغييرات واسعة النطاق شملت كل جوانب الحياة الأوروبية، أما فيما يتعلق بتاريخ العرب الحديث مع مجيء الحكم العثماني، فإنها لم تشهد تحولاً مثل الذي شهدته أوروبا، ومن هنا لا نستطيع أن نوافق على الرأي القائل بأن تاريخ العرب الحديث يبدأ مع دخول العثمانيين، كما أننا من ناحية أخرى لا نتفق مع من ذهبوا إلى أن خروج الشريف حسين وأبنائه على الحكم العثماني بداية التاريخ العربي الحديث، فقد كانت في منطقة محددة ولم يكن لها التأثير في كل جوانب الحياة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً.

كما أننا من ناحية أخرى لا نتفق مع من ذهبوا إلى أن الحملة الفرنسية الاستعمارية بقيادة نابليون بونابرت على الشرق بداية التاريخ العربي الحديث. فمع تقديرنا للدور الذي قامت به الحملة الفرنسية، إلا أنها حملة استعمارية احتلالية لم يكن الهدف منها مصلحة الشرق وإنما مصلحة فرنسا في المقام الأول، ولهذا فإن هذه البداية لم تراع المنطق القومي وإنما تأخذ بالمنطق الاستعماري وهذا ما نرفضه؛ فلا يصح أن نؤرخ لبداية تاريخنا بحملة استعمارية. (٦)

وبتطبيق المعايير السابقة، فإننا نرى أن القرن التاسع عشر الميلادي الذي قامت فيه حركات الإصلاح الديني، وفترة حكم محمد علي، بداية منطقية لتاريخ العرب الحديث؛ حيث تعد حركات الإصلاح الديني أو الحركات الإسلامية التي شملت الحركة الوهابية في نجد وشبه الجزيرة العربية، والحركة السنوسية في ليبيا وشمال أفريقيا، والحركة المهديّة في السودان، وهي حركات يقظة عربية إسلامية قامت لكي تُعيد للدين الإسلامي مكانته الأولى ونقائه كما كانت على عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، بعيداً عما لحق به عبر التاريخ من بدع وضلالات، وظهرت أيضاً كرد

وظهر الكثير من الاكتشافات مثل اكتشاف أمريكا، وكثير من الاختراعات مثل اختراع المطبعة وحروف الكتابة.

وكذلك التاريخ الحديث في العالم العربي، تعددت الآراء حوله، فالبعض يذكر أن دخول العثمانيين بلاد الشام عام ١٥١٦ م، والبعض يُرجعها لحركات الإصلاح الإسلامية التي ظهرت في أواخر القرن الثامن عشر وطوال القرن التاسع عشر الميلاديين، والبعض يذكر اتصال العرب بالغرب أيام محمد علي باشا (١٨٠٥-١٨٤٨ م) في النصف الأول من القرن التاسع عشر، والبعض يرى أن الحملة الفرنسية على مصر والشام في عام ١٧٩٨ م، في أواخر القرن الثامن عشر، والبعض يذكر أن حركة الشريف حسين شريف مكة والمدينة في عام ١٩١٦ م، بداية تاريخ العرب الحديث. (٤) وإذا كان لكل فريق رأيه وعنده من الأدلة والحجج ما تؤكد هذا الرأي أو ذلك، فإنني أعتقد أن خير تحديد نقدمه لبداية تاريخنا العربي الحديث، هو أن تاريخ العرب الحديث يبدأ مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي، وأحسب أن هذا القرن كان بداية فترة التغيير الممهدة إلى النهضة الكبرى سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً. ويكفي أن نؤكد عدة حقائق أولية نستند إليها يأتي في مقدمتها (٥):

الحقائق التي نستند إليها :

أولاً: الحداثة والقدم أمران نسبيان، وليس هناك زمن محدد يمكن أن يُعد بداية للعصر الحديث في كل مكان، فأمم العالم خضعت في تطورها لاعتبارات وظروف مختلفة جعلتها تسير في اتجاهات متوازية حيناً ومتعارضة أحياناً أخرى، ولا يستطيع باحث أن يدعى أن التاريخ الحديث في الهند مثلاً أو في مصر أو أي دولة يبدأ في الوقت نفسه الذي بدأ فيه التاريخ الحديث في أوروبا. كما أن تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية كله، وهي دولة ولدت في ظل التاريخ الحديث (١٧٨٩ م) لا يمكن أن يقسم تاريخها إلى قديم ووسيط وحديث.

ثانياً: إن تحديد حادثة بعينها أو واقعة معينة أو عام محدد لبداية مرحلة تاريخية، لا يعني بحال من الأحوال أن المرحلة الجديدة تبدأ فقط عند ذلك التحديد، نظراً لترابط الفترات الزمنية ترابطاً كمياً وكيفياً، وما التقسيم إلا لتسهيل الدراسة فحسب.

ثالثاً: أما المعيار الثالث الذي نستند عليه في تحديد نقطة البدء في تاريخ العرب الحديث يجب أن يكون نابغاً من

إن جميع هذه التسميات التى ذكرتها للقرن العشرين صحيحة، وتعتبر كل منها عن إحدى السمات التاريخية والحضارية لهذا العصر^(٨)، كما أن كل سمة من هذه السمات لا يمكنها أن تكون شاملة لوحدها، فهى تركز على بُعد واحد من الأبعاد الخاصة بهذا العالم المعاصر الذى يميزه عن غيره من العوالم الأخرى، فهذا العصر هو عصر الذرة، كما أنه عصر الفضاء وهو عصر السرعة وعصر الثورات، وانفجار المعلومات وشبكة الاتصالات ولا يلقى أحدها الآخر، بل إن هذه الأبعاد والمميزات والسمات تكمل بعضها بعضاً، وتسهم جميعها فى فهم عمق التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية وعمق تنوع هذا العالم المعاصر، هذه كانت بعض سمات العالم المعاصر.

وتاريخ العرب المعاصر، وتاريخ مصر المعاصر، يُعد جزءاً من تاريخ العالم المعاصر، يبدأ أيضاً بالحرب العالمية الأولى، والتى كانت نقطة تحول فى تاريخ الجنس البشرى، وانتقل العالم بعدها إلى عصر جديد، يختلف مافيه من المشكلات، السياسية والاقتصادية والاجتماعية، اختلافاً كبيراً عما كان عليه عالم ما قبل هذه الحرب.

فقبل الحرب العالمية الأولى، خضع العالم العربى (ماعدا مراکش / المغرب) للحكم العثمانى وكان كوحدة سياسية واحدة تخضع لحكم واحد، أما تقسيمها إلى ولايات فقد كان تقسيماً إدارياً، ومن ثم كانت الأوضاع فى المنطقة العربية متشابهة بدرجة كبيرة .

أما فى فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، فقد أصبح العالم العربى وحدات سياسية منفصلاً بعضها عن بعض (دول عربية)، وكل منها يسير فى اتجاه مختلف عن الآخر، وذلك بسبب الخضوع للسيطرة الغربية المباشرة أو غير المباشرة.^(٩)

وقد كانت الفترتان: الحديثة (ما قبل الحرب) والمعاصرة (ما بعد الحرب) حافلتين بكفاح العرب من أجل إثبات شخصيتهم المتميزة، أولاً كفاحهم ضد العثمانيين قبل الحرب العالمية الأولى، ثانياً مقاومتهم الاحتلال الأوروبى بعد الحرب العالمية الأولى الذى مزق المنطقة العربية واستغل أهلها واستنزف مواردها.

ومما هو جدير بالذكر، أن تحديد بداية تاريخ العرب المعاصر بالحرب العالمية الأولى، أن التاريخ الحديث قد

فعل لمقاومة الهجمة الاستعمارية الأوروبية التى زحفت على العالم العربى بصورة واضحة فى القرن التاسع عشر الميلادى؛ ولما شمله هذا القرن من تغييرات جذرية فى عهد محمد على باشا، تغييرات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية فى مجتمعنا العربى، ولذا فإن هذا القرن يقف معلماً أساسياً ونقطة تحول واضحة نستطيع معها مطمئنين أن نتخذ منها بداية موضوعية ومنطقية لتاريخ العرب الحديث.

أما عن نهاية تاريخ العرب الحديث، فقد اصطلح عليها المؤرخون أنها تنتهى مع نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، لىبدأ تاريخ العرب المعاصر *Contemporary Arab History*، ونحن نتفق مع هذا الرأى، وإن كانت جذور الحرب العالمية الأولى ترجع لأواخر القرن التاسع عشر الميلادى.

تعريف مصطلح التاريخ المعاصر:

Contemporary history

التاريخ المعاصر هو تاريخ القرن العشرين، وهو لايشكل مرحلة تاريخية منتهية ولكنها مرحلة فى دور التطور ولم تُدر بها عجلة المجتمع دورة كاملة بعد، وهى تشمل كل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية .. الخ.

ويمكن أن نحدد بداية التاريخ المعاصر بنشوب الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م، أى أن العالم المعاصر تاريخياً هو عالم القرن العشرين الميلادى، ودراسة هذه الفترة على جانب كبير من الأهمية لقربها الزمنى منا، ولأن الكثير من المشكلات التى نراها فى عالمنا المعاصر، فى أماكن كثيرة من العالم هى وليدة هذا القرن (القرن العشرون)، القرن الذى شهد إلى جانب ذلك، تطوراً كبيراً فى مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والتكنولوجية والعلمية بدرجة كبيرة لم يشهدها قرن سابق.^(٧)

حتى لقد أطلق على هذا القرن عدة مسميات، عصر الذرة، وعصر الفضاء، وعصر التكنولوجيا، وعصر التخصص، وعصر القوميات، وعصر الديمقراطيات، وعصر الحروب العالمية، وعصر الثورات، وانفجار المعلومات وشبكة الاتصالات، وعصر الأيديولوجيات، وعصر التنمية، وعصر السرعة، وسُمى أيضاً العصر الأمريكى، باعتبار أن الولايات المتحدة الأمريكية تمثل مركز القوة والثقل فى العالم منذ الحرب العالمية الثانية.



الفرق بين مفهومي : التاريخ الحديث والتاريخ المعاصر أ. د. أشرف مؤنس

التاريخ المعاصر فهو قرن واحد فقط وهو (القرن الـ ٢٠)، ويبدأ التاريخ المعاصر زمنياً ببداية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م ويستمر حتى نهاية القرن العشرين، بينما آخر ٢٥ عاماً نعيشها تدخل في نطاق "الأحداث الجارية" Current events وليس التاريخ المعاصر.

والتاريخ الحديث والمعاصر يكمل بعضهما بعضاً، وما تقسيمنا لهما على هذا النحو إلا بهدف تيسير مهمة الدراسة لظاهرة التغير في المجتمع العربي، فالدراسة التاريخية سلسلة مترابطة الحلقات كل منها يؤثر في الآخر ويتأثر به.

انتهى؛ حيث بدأ التاريخ المعاصر، فما الأخير إلا حلقة من حلقات الأول، مادامت عملية التحديث مستمرة ومادام كان إيقاع التغيير الاقتصادي والاجتماعي يمثل امتداداً لما شهده المجتمع في القرن التاسع عشر الميلادي.

وهكذا، فالمرحلتان (الحديثة والمعاصرة) هما بمنزلة الصوت وصداه، أي أنهما مرحلتان متكاملتان وليستا متناقضتين، وإن كانت لكل منهما سماتها ومميزاتها الخاصة، وإطارها الزمني الذي يختلف عن الآخر؛ فالتاريخ الحديث يُعد أطول زمنياً، أربعة قرون (القرن الـ ١٦ إلى القرن الـ ١٩)، أما

المراجع :

- (١) سهام طه محمود : تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ، (دن) ، القاهرة ، (د.ت) ، ص ص ١١ ، ١٢ .
- (٢) عبد المنعم إبراهيم الدسوقي الجمعي : العالم الأوروبي في التاريخ الحديث والمعاصر ، مطبعة الجبلوي ، القاهرة ، ١٩٩١م ، ص ص ٨-١٠ .
- (٣) محمود حسن صالح منسي : تاريخ القرن العشرين (دن) ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص ٣ .
- (٤) أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس : تاريخ العرب الحديث بين احتلالين (من الاحتلال العثماني إلى الاحتلال الأوروبي) ، مكتبة دار الأفاق ، الشارقة ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، ٢٠٢٣ ص ص ١٧-١٩ .
- (٥) المرجع السابق ، ص ١٨ .
- (٦) أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس : معالم تاريخ العرب المعاصر ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠١٠م ، ص ص ٥-٧ .
- (٧) أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس : دراسات في تاريخ مصر المعاصر ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠١٨م ، ص ص ٢-٥ .
- (٨) المرجع السابق ، ص ٨ .
- (٩) أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس : معالم تاريخ العرب المعاصر ، مرجع سابق ، ص ص ٦-٧ .